جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي
ISSN: 2079-5068 ISSN (online): 2663-3930

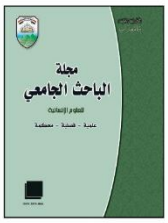

عتبة العنوان في روايتي محمد عبدالولي

فاتن عبدالله جعيم
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن

الكلمات المفتاحية:
العتبة، العنوان، يموتون غرباء، صنعاء مدينة مفتوحة

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية تشكّل عتبة العنوان في روايات محمد عبد الولي، وما لها من دور وظيفي في عملية التلقي، وكيفية اتصالها بالمتن، وبالقارئ، وعلاقتها بهما، للكشف عن مستوى نضج الرواية اليمنية والوعي السردي في فترة الستينيات والسبعينيات التي تمثلها روايات محمد عبد الولي. وقد تم تقسيم هذا البحث إلى تمهيد، ومبحثين، تضمن التمهيد نبذة عن مراحل تطور العنوان في الرواية اليمنية، أما المبحث الأول فقد اختص بعتبة العنوان في رواية يموتون غرباء. بينما اختص المبحث الثاني بعتبة العنوان في رواية صنعاء مدينة مفتوحة، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أن عتبة العنوان في روايتي محمد عبد الولي قد تجاوزت الدلالة المباشرة، إلى استخدام الرمز بشكل فني متقن، وتجاوز وظيفة التسمية إلى بقية وظائف العنوان، مما يدل على وعي السرد في هذه المرحلة بالقيمة الجمالية والفنية لعتبة العنوان، ودورها في توجيه دلالة النص، وعملية القراءة.

عتبة العنوان في روايتي محمد عبدالولي

The Threshold of the Title in the Two Novels of Muhammad Abdul-Wali

Faten Abdullah Juaim

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Ibb University, Yemen

Keywords:

Threshold, Title, They Die Strangers, Sana'a, an Open City

Abstract:

This study seeks to reveal how the threshold of the title is formed in the novels of Muhammad Abdul Wali, and its functional role in the reception process, and how it relates to the text and the reader, and its relationship to them, to reveal the level of maturity of the Yemeni novel and narrative awareness in the sixties and seventies that are represented by the novels of Muhammad Abdul Wali. This research was divided into a preface, and two sections. The preface included an overview of the stages of the development of the title in the Yemeni novel. The first topic it was concerned with the threshold of the title in the novel "They Die Strangers". While the second topic dealt with the threshold of the title in the novel "Sana'a, an open city". Among the most important findings of the study is that the threshold of the title in the novels of Muhammad Abdul Wali has exceeded the direct significance to the use of the symbol in an elaborate artistic manner, and the function of naming has been exceeded to the rest of the functions of the title, which indicates the awareness of the narrative at this stage of the aesthetic and artistic value of the threshold of the title, and its role In directing the meaning of the text, and the reading process.

المقدمة:

يمثل العنوان المفتاح الأول الذي يتمكن بواسطته المتلقي من الدخول إلى عالم النص، أو الوقوف على فضاءاته الأولية، إلا أنه بالرغم من ذلك يختلف في طريقة تأديته لدوره الوظيفي تبعًا لمستوى وعي السرد الذي ينتمي إليه النص الذي يعنونه بـ (آلية العتبة) ودورها في تشكّل عملية التلقي، وقد تطرقت الدراسة في هذا البحث إلى مقاربة هذه العتبة في روايتي محمد عبد الولي، وهما روايتان فقط، "يموتون غرباء"، و"صنعاء مدينة مفتوحة"، لأهمية عتبة العنوان في بناء النص أولًا، وثانيًا لغياب الدراسات التي تتناول روايتي محمد عبد الولي من هذه الزاوية تحديدًا، كونها تمثل مرحلة مهمة من مراحل تشكّل الرواية اليمنية.

وقد انقسمت الدراسة في هذا البحث على مبحثين يسبقهما تمهيد، **المبحث الأول:** اختص بدراسة عتبة العنوان في رواية "يموتون غرباء، أما **المبحث الثاني:** فقد اختص بدراسة عتبة العنوان في رواية "صنعاء مدينة مفتوحة"، على وفق قراءتين مدمجتين في سياق واحد، قراءة العنونة مستقلة عن النص، بوصفها مفردات لغوية منفتحة على دلالات متعددة، وجمل نحوية، وقراءة ثانية، يتم من خلالها قراءة العنونة في إطار ارتباطها بالنص.

تمهيد:

لم يختلف الأمر بالنسبة للرواية اليمنية من حيث العنونة ودورها الوظيفي ، على ما كان عليه في الخطاب القصصي، فالعناوين في الوقت الذي بدأ فيه الخطاب الروائي يحقق وجودًا فنيًا، بين أنواع الأدب، قد اتصفت بأنها عناوين واضحة ومباشرة، هيمنت على أغلبها أسماء الشخصيات، بصورة مباشرة مثل "فتاة قاروت" لأحمد عبدالله السقاف، أو بصورة غير مباشرة مثل "يوميات مبرشت" للطيب أرسلان، ويعيد الدارسون هذا الأمر إلى مجموعة من الأسباب، أهمها تأثر الرواية اليمنية بالرواية العربية والغربية في بداياتها الرومنسية، وتأثرها بالنزعة الرومنسية الثورية التي شهدتها اليمن منذ الثلاثينيات، إذ برز حينها الوعي القومي، والوطني، والفكري، في مواجهة "الاحتلال البريطاني" ثم التأثيرات المباشرة للمد القومي، والإسلامي، في الأربعينيات، والخمسينيات من القرن الماضي، مما أدى إلى زيادة الوعي الذي تمثل في الاهتمام بالشخصية القومية، والمحلية، ودورها في مواجهة الآخر، كما برزت في عناوين هذه المرحلة كما أكد عبد الحكيم باقيس ظاهرة الأسماء الأنثوية، وهي ظاهرة مشتركة بين الروايات العربية والغربية، وقد تزامن ظهورها مع مرحلة النداء بتحرير المرأة والدعوة إلى التحرر عمومًا، [1]. فضلًا عن أن الكتابة كانت آن ذاك على حد تعبير شعيب حليفي، سجينة الأفق الرومنسي العاطفي[2].

ومنذ نهاية الستينيات إلى نهاية التسعينيات بدأ الخطاب الروائي في اليمن يشهد بعض التحولات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، وظهور تيار الواقعية التي امتدت إلى الخطاب السردي اليمني بعامة، فأنجزت الرواية اليمنية منها واقعيتها الخاصة، التي التمست فيها هموم واقعها، وخصوصياته[3]، فظهر نوعان للواقعية في الخطاب السردي اليمني، الأول الواقعية الانتقادية، والنوع الثاني الواقعية الاشتراكية، اتفقا في تعبيرهما عن الواقع وقضاياه، واختلفا في كون الانتقادية تطرح قضايا الواقع ومشكلاته وتنتقدها دون أن تقترح حلولًا لها، بينما كانت الاشتراكية تعمل على تقديم الحلول للقضايا التي تطرحها[4]. ومن ثم كان من الطبيعي أن تنجز الرواية اليمنية عناوينها الخاصة، على الرغم من انتمائها إلى المرحلة التقليدية الواقعية، إذ اتسمت بهيمنة المكون المكاني على أغلب عناوينها، وإن كان مجيء بعضها دالًا على المكون الحدثي، أو مكون الشخصية[5].

ومن ثم فإن العنوان الروائي اليمني في هذه المرحلة تمكن من تجاوز ظاهرتي الوضوح والمباشرة اللتين اتصف بهما العنوان في المرحلة التقليدية، أو الواقعية، فلم يعد العنوان عبارة محددة القصد منها التسمية والتعيين وحسب، بل أصبح عبارة مكثفة تحمل خطابًا، أو نصًا كاملًا مستقلًا بذاته[6]، كما أصبح للعنوان بنيته النصية الخاصة التي تميزه عن العناوين السابقة، فلم يعد عتبة نصية تكشف عن مضمون النص للمتلقي، بسهولة ويسر، بل أضحى عتبة للمراوغة والعصيان، يتطلب اجتيازها خبرة جمالية وطاقة قرائية على المتلقي أن يبذل فيها الوسع حتى يدخل إلى عمق النص، إذ أصبحت العنونة مجالًا لممارسة فعلي القراءة والتأويل من قبل المتلقي[7]، وبالرغم من احتواء عتبة العنوان في روايتي محمد عبد الولي على المكون المكاني بطريقة مباشرة في رواية (صنعاء مدينة مفتوحة)[8]، وبطريقة غير مباشرة من خلال دلالتها على المكان في رواية (يموتون غرباء)[9]، فإنها لا تدل على مضمون النص، أو الفضاء المكاني له بشكل مباشر؛ إذ إن مدينة صنعاء في عنوان (صنعاء مدينة مفتوحة) لم تكن الأرضية التي جرت عليها أحداث الرواية، وإن حضرت بوصفها جزءًا من الفضاء المكاني لها من خلال المتن، وكذلك عنوان (يموتون غرباء) رغم أنه يوحي بدلالة المكان، واتصال الإنسان به وانفصاله عنه، وإنه يشير إلى مكان غامض، غير محدد، مما يُلغي دلالة المباشرة والوضوح، ويؤدي إلى انفتاحه على عدد من الدلالات والتأويلات.

فضلًا عن ذلك فإن البحث سيتناول دراسة العنوان في روايتي محمد عبد الولي، وهما عنوانان فقط (يموتون غرباء)، و(صنعاء مدينة مفتوحة)؛ كون أعماله تمثل مرحلة مهمة من مراحل نشأة الرواية اليمنية وتطورها، وهي مرحلة البدايات، أضف إلى ذلك عدم وجود دراسات سابقة تناولت عتبة العنوان في هاتين الروايتين.

المبحث الأول: رواية "يموتون غرباء"

يمثل العنوان في الرواية بنية مركبة؛ لأنه يأتي عنوانًا لعمل ممتد التفاصيل متشابك الرؤى، وليس كالعنوان في القصة القصيرة التي تُعد –إلى حد ما– محدودة في تفاصيلها ورؤاها، وهو ما يتضح من عنوان (يموتون غرباء) الذي يتشكل من جملة فعلية (يموتون+ غرباء) فعلها لازم في الزمن المضارع وهذا يوحي بأكثر من دلالة، منها أن وقوع الفعل (يموتون) لا يتوقف عند شخصية معينة، أو شخصيات متعددة في زمن معين، وإنما يمتد وقوعه إلى أكثر من شخصية في أكثر من توقيت زمني، إذ لا تنتهي أو تتوقف دلالة الزمن المضارع في الزمن الحاضر بل تمتد إلى الدلالة على المستقبل، وفي ذلك صورة جمالية، إذ يحمل الفعل (يموتون) تضادًا في نفسه، وذلك أن حدث الموت يعني السكون، فكل ما مات فقد سكن، وزمن الفعل يدل على الحركة، فجمع بذلك دلالتين متضادتين هما السكون والحركة[10]، حيث يتحول الموت – وهو من أكبر الحقائق التي واجهت الإنسان منذ وجوده– الدال على السكون، والانقطاع إلى حدث مليء بالحركة والاستمرار، إذن فالفعل (يموتون) لا ينتهي وقوعه مع انتهاء الرواية، أو انتهاء دور شخصياتها بل يمتد إلى ما بعدها، وهذا في حد ذاته يشير إلى أن فكرة الرواية المختزلة من خلال العنوان تناقش قضية عامة غير ذاتية أو فردية، ومما يؤكد ذلك مجيء الفاعل (واو الجماعة) المتصلة بالفعل، ووقوع لفظ غرباء حالًا للفاعل (الواو) مُسندًا إلى الفعل (يموتون) يوحي بصورة أكثر حزنًا وسوداوية، ويعطي المتلقي فكرة عما سيتضمنه نص الرواية من عالم بائس وعن نوع النهاية التي ستؤول إليها شخصيات الرواية، فدال الموت يحمل كثيرًا من الوجع والحزن في ذاته، فكيف يكون عندما يُسند إلى دال الغربة والغرباء، بما فيه من معنى البعد[11]، والتنحي[12] والانزواء أو الاختفاء عن أنظار الناس وعدم الانتماء والنزوح[13] عن الوطن ومفارقة الأخلاء، إذ كان الموت في الأصل توار واختفاء عن الأنظار ومفارقة كل ما يعز على النفس[14].

كما يتضح من خلال تركيب العنوان أن اهتمام الرواية لم يكن منصبًا على حدث الموت في حد ذاته، فالموت قضية مسلمة ولا نجاة منها. وإنما كان يتركز اهتمامها على الفاعل (واو الجماعة) في الفعل (يموتون)، ففضلًا عن تجسيد المفردة (يموتون) قسوة الرحيل والاغتراب، والابتعاد الذي يبدو قسريًا لما يعنيه الموت من رحيل أبدي، فإن الاهتمام لا يتركز على حدث موت الذي يُوصفون به، بل على حال موتهم غرباء، فالمشكلة ليست في المعاناة من الموت في حد ذاته، ولكن حالة الموت في الغربة[15]، فـ(غرباء) جاءت صفة للفاعل (واو الجماعة) ولم تأت صفة للموت، وعلى الرغم من أن العنوان صحيح من الناحية التركيبية والنحوية إلا أن المتمعن في المعنى سيلاحظ أن الفاعل في الفعل المضارع (يموتون) ليس الفاعل أو القائم بالفعل

في الحقيقة، بل الواقع عليه الفعل، بمعنى أن الفاعل في التركيب هو المفعول به في المعنى.

ودالا العنوان (يموتون+ غرباء) يثيران في ذهن المتلقي نوعًا من اللبس والحيرة، وكثيرًا من التساؤلات، إذ يتبادر إلى ذهنه حال وقوفه على العنوان كثيرًا من الدلالات التي تمتلكها ذاكرته الفردية أو الجمعية، أو الثقافية، فتحضر إلى ذهنه من لفظ (الموت) الفناء وانتقال الإنسان من حياة معلومة إلى حياة مجهولة الملامح، يتبادر إلى ذهنه الحزن، القبر، الجنازة، والنواح وغيرها، كما يحضر المفهوم الصوفي للموت، إذ إن الموت بالنسبة إليهم ليس تغيرًا يطرأ على الجسد لكنه مفارقة، وقتل هوى النفس وقمعه عن طريق التوبة[16] مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة:54][17]، والأمر ذاته في دال الغرباء، فتكثر التساؤلات لدى المتلقي، وهي تساؤلات تدفع به نحو عمق النص لتفسيرها، منها: من هم هؤلاء الغرباء الذين يموتون؟ وهل موتهم حقيقي مادي، أم نفسي مجازي؟ ما نوع الغربة التي يموتون فيها؟ أهي غربة جغرافية حقيقة أم نفسية؟! لماذا أُسندت دوال العنوان إلى جماعة؟ ما الأسباب التي دفعت بهم إلى الموت غرباء؟

منذ اللحظة الأولى لوجود العنوان يعكس خلفية عامة عن نوع الحدث الرئيس وطبيعته في الرواية، إذ يستدل المتلقي من خلال تركيب العنوان على أن الحدث جمعي تحيط به المأساة، فيه كثير من البؤس والمعاناة إلا أنه في الوقت ذاته شد انتباه المتلقي وجذبه أكثر إلى عمق النص من خلال الدلالات التي جعلها في متناوله.

كما أن العنوان يفصح عن موت ذوات يصفها بالاغتراب، من دون أن يحدد هويتها، وما نوع اغترابها، وكيفية موتها، ومن هنا تنشأ التساؤلات حول الذوات التي أشار إليها العنوان، من هم الغرباء الذين يتحدث عنهم النص؟ هل هم المهاجرون؟ أم هم أشخاص اختصوا بأمور معينة جعلتهم يتصفون بالـ "غرباء"؟ ما نوع الغربة التي يعانون منها؟ ما نوع موتهم؟ كيف حدث موتهم؟... إلخ.

يحمل ملفوظ "الغربة" عددًا كبيرًا من الدلالات، التي تدل في مجملها على معنى النزوح، والابتعاد[18]، والانفصال[19]، قد يكون نزوحًا جغرافيًا حقيقيًا مثل الابتعاد عن أرض الوطن بالهجرة إلى أرض أخرى[20]، وقد يكون نزوحًا نفسيًا عن الذات، عن القيم، عن الهدف، أو الجماعة، كما أن ملفوظ الغربة في بعض مشتقاته قد يكون غامضًا أو متعدد الدلالة، فـ(غرباء) جمع غريب، والغريب قد يكون شيئًا موجودًا في غير موطنه الذي نشأ فيه، وقد يكون شيئًا نجهل تفسيره،.

أما المهاجرون الذين ضمهم النص تحت صفة (غرباء) فقد تمثلوا في ثلاث شخصيات، شخصية عبده سعيد، الشخصية الرئيسة في النص، وشخصية الحاج عبداللطيف، وشخصية

السيد أمين، وكل واحدة من هذه الشخصيات جاء بها النص نموذجًا لمجموعة معينة من المهاجرين اليمنيين، فعبده سعيد نموذجًا للمهاجرين الذين هاجروا بدافع طلب الرزق والعمل، وهم يشكلون الأغلبية في شريحة المهاجرين، وهذا يفسر مجيء شخصية عبده سعيد واختيارها شخصية رئيسة في النص، والحاج عبداللطيف نموذجًا للمهاجرين من أصحاب السياسة والقضايا الوطنية، أما شخصية السيد أمين فقد جاء بها النص نموذجًا للمهاجرين من رجال الدين، ودخول هذه الشخصيات ضمن من وصفهم النص بالـ (غرباء) كان لأسباب معينة، فعلى الرغم من أن الهجرة تعني الغربة بالابتعاد عن الوطن، إلا أن النص لم يجعلها سببًا لإطلاقه صفة (غرباء) على هذه الشخصيات، إذ يفرّق النص دلاليًا بين المهاجر والغريب، إذ ورد في النص في وصف السارد لشخصية والد السكرتير:

«والده... يحلم بأرضه.. بالمستقبل هناك في اليمن عندما (يحرروا) اليمن من الظلم.. إن لديه أساساً يقف عليه وأحلاماً تؤيده وتسنده، وأنه ليس غريباً بالرغم من أنه مهاجر قد يعود يوماً إلى أرضه.. أنه مجرد مهاجر أما هو فمقطوع من شجرة لا جذور لها.. أنه "لا أحد" نعم "لا أحد"»[21].

فالنص يؤكد اقتصار صفة (غرباء) على شخصيات معينة، تمتلك سمات معينة، فليس كل مهاجر غريبًا، ولا كل غريب مهاجرًا، ولعل ذلك يفسر وصف النص لشخصيات الرواية بـ (غرباء) إذ إن لفظ (غرباء) يحمل في دلالته من الشمول ما يجعله قادرًا على اختزال مقاصد النص وموضوعه، إذ كان من الممكن أن يقول بدلًا من (غرباء) (يموتون مغتربين) لكن لفظ (مغتربين) أكثر خصوصية على اعتباره خاصًا بالمهاجرين من أوطانهم إلى أوطان أخرى، وبالرغم من أن اللفظين مشتقين من ملفوظ «الغربة» إلا أن لفظ «غريب» قد جاء على وزن (فعيل) وهي صيغة مبالغة من اسم المفعول، وتدل على الشدّة والمبالغة في الوصف[22]، أما لفظ (مغترب) فهو اسم فاعل يركز على وجوب دلالة الفاعلية أكثر من تركيزه على الذات الفاعلة أو التي يقع عليها الفعل، بعكس لفظ (غريب) ففيه يكون التركيز على الذات الموصوفة، أو الواقع عليها الفعل مع جواز قيامها بدور الفاعلية، أو وقوعها في دلالة المفعولية فقط.

وبذلك تكون مفردة(غريب) أعمق في دلالتها على الغربة، إذ أنها تحمل سمة نفسية وخصائص روحية، وهي أكثر إحالة إلى الوحدة والتيه والضياع وفراق الأهل والوطن، أما مفردة (مغترب) فتعني غالبًا البعد الجغرافي فقط. والذوات الموجودة في النص حملت بعضها دلالة الفاعلية فكانت هي نفسها سبباً في اغترابها، مثل شخصية عبده سعيد، والحاج عبداللطيف، والسيد أمين، ومنها ما وقعت في دلالة المفعولية فقط فلم يكن لها يد في اغتراب ذواتها مثل شخصية السكرتير، وشخصية ابن عبده سعيد غير الشرعي.

وقد تشكلت الغربة في شخصيات الرواية على صورتين، الأولى: غربة حقيقية بالابتعاد والانفصال عن الوطن وهذه الصورة مشتركة بين الشخصيات كلها، الصورة الثانية: غربة نفسية، وقد اختلفت أشكالها وتعددت من شخصية إلى أخرى، فشخصية عبده سعيد تشكلت غربته النفسية من خلال الآتي:

1. الابتعاد عن الأرض: من خلال انفصال "عبده سعيد" عنها، وهروبه من مسؤولية الاهتمام بها، فقرار عبده سعيد بالسفر قرار غير صريح بترك الأرض وإهمالها، باحثًا عن ذاته في أرض أخرى لا ينتمي إليها، ويدل على ذلك ما ورد في حوار لعبده سعيد مع والده:

« يجب أن أسافر يا أبي.

. والأرض يا عبده..

. أنت فيك الخير يا أبي.

. لكني قد شخت.

. ستساعدك زوجتي.. وسأعمل هناك وأرسل إليك نقودًا تستطيع أن تؤجر لها عمالًا»[23].

فعبده سعيد بقراره السفر يقرر التخلي عن الأرض، فهو يشعر في بقائه فيها بلا جدوى، إذ إنها أصبحت بالنسبة إليه غير قادرة على تحقيق طموحه بعكس أرض المهجر، التي يتوقع أنها ستعوضه عن ذلك بعد أن قرر السفر إليها، فهي من وجهة نظره ستعطيه ما لم تعطه أرضه في الوطن، فهو يثق أنه سيمتلك بسفره النقود التي يحتاج إليها لتحقيق هدفه.

2. الانفصال عن المرأة: ويأتي هذا الجانب على صورتين:

الصورة الأولى: في انفصال "عبده سعيد" عن زوجته في أرض الوطن، إذ يلقي عليها مسؤولية الاهتمام بالأرض، ومن ثم يحملها عبء غيابه، فينفصل عنها انفصالًا حقيقيًا ماديًا، فتدفع ثمن قراره وهجرته سنوات عمرها التي تفنيها في الاهتمام بالأرض والأبناء، وانتظار غائب موعد عودته مجهول، ويظهر عمق أثر هذا الانفصال في انفصاله عنها نفسيًا، إذ ورد في النص:

«أما زوجته فهو لا يفكر فيها إلا أحيانًا ونادرًا ما يدعو لها بالصبر لكي تعمل في الأرض، وتربي أبناءها، كان يتصورها كما تركها في الثانية والعشرين من عمرها.. صغيرة، هادئة، وفي وجهها أحلام بريئة، ونظرات بسيطة، كان يبتسم أحيانًا وهو يجاهد ليرسم صورتها في خياله، وكثيرًا ما يفشل كان وجهها قد انمحى من رأسه تمامًا»[24]

فمن خلال ما ورد في النص يظهر مدى ابتعاد عبده سعيد عن زوجته، وحجم المسافة التي باتت تفصل بينهما على الصعيدين المادي والنفسي، كما أن ذلك يعكس الأنانية التي يتعامل بها «عبده سعيد» مع المرأة/الزوجة، أذ أصبحت لديه تمثل جزءًا من أملاكه، له حرية التصرف فيها، وبرغم أنه أصبح يجد صعوبة كبيرة في تذكر ملامحها إلا أنه لم يكترث، كل ما يشغل باله ويتذكره جيداً هو واجبها في الاهتمام بالأرض وتربية الأبناء وهذا يعكس – أيضًا– حجم الخلل

فـي مفهومـه للعلاقـة الزوجيـة والأسـرية، وحجـم الأذى الـذي يتسـبب بـه للآخر/المـرأة. إذ إنـه فـي الوقت الـذي ينبغـي أن يشاركها عبء الحياة قرر بأنانية مفرطة الهروب بعيداً تاركاً كل شيء خلفه، فتضطر المرأة إلى القيام بدور الأم والأب معًا في علاقة غير طبيعية يسيطر عليها غياب الشعور بالاستقرار الـذي يكـون أسـاس العلاقـات الزوجيـة والأسرية ممـا يتسبب لهـا بكثير من الاضـطرابات والضـغوط النفسية، التي قد تؤثر سلبياً على ذاتها وعلـى تربيتهـا لأولادهـا والجانـب النفسـي لـديهم، فغالبًـا مـا ينـتج عـن غيـاب الأب أسـرة مفككـة مضـطربة مما يؤثر أيضًـا علـى الكيان المجتمعـي باعتبار الأسرة النواة الصغرى والأولى للمجتمع.

الصـورة الثانيـة: فـي انفصـال "عبـده سـعيد" وابتعاده عن قيم مجتمعه[25] ومعتقداته الدينية[26] من خلال علاقاته الممنوعة التي ربطت بينه وبين المرأة في أرض المهجر، وفي انفصاله عن ذاته الإنسانية أثناء خوضه في تلك العلاقات، فتبدو المرأة مُستغلة من قِبل شخصية عبده سعيد، إذ تنحصر قيمتها بالنسبة إليه في الجانب الجسدي لها، وأحياناً في السلطة والنفوذ اللذين تملكهما، ومن ذلك ما ورد على لسان «طائتو» إحدى شخصيات الرواية:

«ـ يا له من إنسان غريب.. إنك تقطف أوراق القات وتعصف بالأغصان.. كم يذكرني هذا بصدر النساء اللاتي قذفت بهن بعيداً بعد أن امتصيت كل نضارتهن»[27].

فالمرأة لدى شخصية عبده سعيد تغدو عديمة الأهمية دون جمال جسدها الشاب إلا إذا كانت تمتلك ما يمكنه الانتفاع به، كما هو الأمر في علاقته بزوجة الموظف الأثيوبي صاحب النفوذ:

«...مضى صاعداً في درجات يعرف عددها تمامًا ودق على باب في الطابق الثاني طرقات خفيفة وبعد ثوان فتح. في وسط الغرفة وقفت امرأة في حوالي الأربعين سمراء ممتلئة عليها عينان زنجيتان واسعتان، وفم صغير،... مضت إلى غرفة داخلية.. ومضى خلفها.. وأطفأت أنوار الصالة.. قالت وهي تتوسط غرفة النوم الأنيقة.. ذات السرير الواسعة..

. طبعًا متعب.. إنك كلب لا تترك أي لحمة إلا وابتلعتها.. فكيف لا تشعر بالتعب»[28].

فالمرأة في هذا الموضع لا تملك مقومات الشباب واليفوع الذي يمكن أن يلفت غالبا عبده سعيد، فالمرأة هنا في سن الأربعين، لكنها رغم ذلك تمتلك ما يجعله يشعر بمتعة التقرب منها، إذ تمتلك القدرة على استعمال سلطة زوجها ونفوذه للحفاظ على مصالحه وتجاوز ما يواجهه من مشكلات في أرض المهجر، يدل على ذلك ما ورد في النص وتحديدًا في حوار عبده سعيد معها:

«...أنت تعرفين أنني لم أدفع الضرائب منذ مدة طويلة وقد ساعدتني أنت في ذلك كثيراً سمعت أن هذا الملعون الأرمني يريد أن يكشف الأمر.. أنت تعرفين أنني فقير أتعب من أجل أن أربح سنتًا واحدًا هل ستحدثين زوجك حتى يساعدني إنه موظف كبير يمكنه أن يتلاعب في

القضية. كانا ممدين فوق السرير.. كل ينظر إلى الآخر لحظات ثم يغيب في أفكاره الخاصة.

. نعم.. نعم وهذا أيضاً حلال في رأيك ما دام في صالحنا ما دمت ستبقى معي أليس كذلك؟ أنت لا توافقني بالقول ولكنك بالعمل تثبت نظريتي لكنك تنظر إلي كشخص.. كفرد وهذه أنانية لكني سأساعدك فيها. أما أنا فإنني انظر إلى سعادتنا و...كان عبده يفكر بأشياء أخرى، ويسمع صوتها كأنه في قبر عميق، إنها ستساعده، لن يدفع هذا العام أيضاً ضرائب، معنى ذلك أن خطته تسير إلى النجاح كم سيضحك من ذلك الأرمني؟»[29].

ومن ذلك يتضح أن المرأة في حياة عبده سعيد ليست سوى أداة ينتفع بها، سواء كانت زوجته التي جعلها مسؤولة عن الاهتمام بأرضه وأهله، أو امرأة حبشية يتخذ أمر التقرب منها وسيلة لاستغلالها بشكل ما لمصلحته مهملًا لها بكل ما تحمله من إنسانية، وقيمة مجتمعية تؤثر من خلالها سلبًا وإيجابًا على المجتمع في جوانبه المختلفة. فينفصل بذلك عن ذاته الإنسانية بكل ما يحمله من قيم كان وجودها يشكل رادعًا له عن كثير من التصرفات غير الإنسانية.

3. انفصاله عن الأبناء: ويتضح هذا الجانب في النص من خلال شخصية عبده سعيد على صورتين، **الصورة الأولى:** في انفصاله عن ابنه في أرض الوطن في عمر الثامنة: **«أما ابنه.. نعم ابنه تركه حين كان في الثامنة من عمره»**[30]

إذ ينفصل عن حياة ابنه ماديا من خلال هجرته، وينفصل عنه نفسيًا من خلال فقدانه الشعور بدوره الضروري، وبمسؤوليته في تربية ابنه والاهتمام به، على اعتباره المسؤول الأول أمام المجتمع عن طريقة تنشئته، ويدل على ذلك استمرار غيابه لسنوات كثيرة لم يشعر فيها بضرورة العودة، يدل على ذلك ما ورد في النص حول محتوى الرسالة التي وصلت عبده سعيد من ابنه:

«إن المنزل الجديد عروسة القرية كما تقول الرسالة، وكما تقول الصورة، كان منزله واضحًا تمامًا وكان جميلًا حتى أن دموع عبده سعيد تساقطت مرات كثيرة، لكنه كان يضحك في نفسه خاصة وهو يقرأ مقطع في رسالة ابنه "انهم جميعاً يعجبون بمنزلنا حتى البعض يريد أن يبني مثله" نعم ابنه، إنه يكتب كلامًا بخط أجمل، تمامًا كخط الفقيه الذي كان يحسده عليه، لكن ابنه قد أصبح رجلًا كما تدل الصورة وكما يدل أيضاً وجه حفيده الصغير»[31].

يتضح من خلال النص مدى انفصال الأب عن حياة ابنه، وغياب مسؤوليته في تنشئته وتوجيهه، إذ إن ابنه الذي تركه طفلًا قد أصبح رجلًا كبيرًا، أبًا لطفلٍ آخر، كل ما يربط بينهما رسائل من ورق ينعكس من خلالها مدى الحرمان الذي عاش فيه الطفل في ظل غياب الأب لسنوات كثيرة.

الصورة الثانية: تتشكل من خلال تعامله مع نسبة ابنه غير الشرعي إليه، إذ ينعكس انفصاله عن قيمه الإنسانية ومعتقداته الدينية في إنكاره

لحقيقة انتساب الطفل إليه، ويدل على ذلك ما ورد في النص في حوار لـ(طائتو) مع عبده سعيد:

«... يا له من حجر قلبك هذا!! أ يستطيع الإنسان أن يترك أبناءه وهو يعرف هذا حق المعرفة..»[32].

فهو يعرف في قرارة نفسه حقيقة انتساب الطفل إليه، لكنه اعتاد على الهروب من مسؤولياته، فيصر على إنكار الطفل رغم محاولات (طائتو) الكثيرة لاستعطافه، وتحريك مشاعره الأبوية تجاه الطفل:

«كان وجهه يعبر عن أشياء كثيرة.. وفجأة أحس بأن القات يسد حنجرته. ولم يكن يستطيع أن يحب ابنه، لقد رآه مرات كثيرة.. يلعب مع أولاد الحي، إنه يشبهه كثيرًا حتى أنه تذكر المثل القائل (ابن الزنا يشبه أبوه) إنه أبيض مثله يحمل نفس وجهه الطفولي البريء لم يأخذ من أمه سوى شعرها المفلفل وشفتيها الزنجيتين ولكن ما الذي يستطيع أن يعمله ولقد قرر ترك كل شيء والعودة إلى بلاده، قرر الهروب إلى منزله الجديد...»[33]

فهو هنا يشعر بالعجز عن مواجهة الأمر، فهو لا يستطيع الاعتراف بالطفل خوفًا من المجتمع، فأبوته للطفل نتيجة علاقة غير شرعية، يرفضها الدين والمجتمع معًا، إذ ورد في النص توصيفًا لموقف عبده سعيد من أمر الطفل:

«إنه يحل مشاكل الناس، لعنة الله على الحيوان القذر الذي سبب له هذه المشاكل، لماذا كان على المرأة أن تلد وأنت تعرف أن ولدها غير شرعي (زنوة) وردد الكلمة في أعماقه (زنوة) ما الذي ستقوله للناس حين يعرفونه أنه ابنه ، كلا ليس ابنه بل (زنوة) ما الذي ستقوله زوجته التي تصلي وتنتظر عودته مساء كل يوم، ما الذي سيقوله لابنه الذي تربي وأصبح رجلًا كبيرًا نعم يجب أن يتخلص من هذا الأمر.. يجب»[34].

فهو في موقفه مرهون بعوامل خارجية، منها الأسرة، والمجتمع، والدين.

4. فقدان الهوية: وذلك من خلال انفصاله عن هويته وسلبيته في الحفاظ عليها، إذ يقول النص في وصفه لشخصية عبده سعيد:

«الجميع يسمونه –كما يسمون أمثاله من اليمنيين المهاجرين– (جماله) ولم يكن يغضب كما قد يغضب غيره بل كان يبتسم لهم في مودة.. وأحيانًا كان يسمونه (صالح) بالرغم من أن اسمه كما هو مسجل في الجواز كان (عبده سعيد) ولكنه لم يكن يهتم بذلك. فما الفائدة.. أي اسم يطلق عليه ما داموا يشترون كل ما يريدونه من عنده. بل أن تسامحه في الكثير- فيما يتعلق بشخصه طبعًا لا ما يتعلق بالمال - كان عاملًا في جذب الكثير من العملاء، بل أن خادمات الفيلات كن يرفضن الذهاب إلى دكان الأرمني المجهز بأحدث الوسائل ويشترين كل ما يردنه من دكانه الذي يشبه حجر الفأر»[35].

فضلًا عن أشكال الغربة التي انعكست في النص من خلال شخصية "عبده سعيد" فإنها على اختلاف اشكالها تسببت في اغتراب شخصيات أخرى، فمثلا ابنه غير الشرعي تشكلت غربته في

صورتين، الأولى: إنكار عبده سعيد لأبوته له جعلت منه طفلًا نكرة، لا هوية له، ولا جذور ينتسب إليها، يدل على ذلك الملفوظ الآتي حول موقف السكرتير من طفل عبده سعيد غير الشرعي:

«... كان السكرتير ينظر إلى الطفل بحنان وبحب أيضاً، إنه مثله، الفارق بينهم أن أباه يعترف به كابنه وهذا الطفل يرفضه أبوه. أنه لا يعترف به لكنهم إخوة! إنهم في مكان واحد. وفي شعب واحد، إنهم الضائعون الذين سيبقون دائماً معلقين في المنتصف يجذبهم حبل إلى مالا نهاية ولا يستطيعون مطلقاً أن يحددوا مصيرهم فلذلك هم غرباء حتى ولو وجدوا في النهاية المكان الذي يحتمون به»[36].

فرفض أبيه له جعله بلا هوية ولا نسب ينتمي إليه، أما الصورة الثانية: فهي في كونه مولدًا، فالمولدون غرباء ويمثلهم في النص شخصية «السكرتير» لا يمكنهم القول بإنهم أحباش لكون أمهاتهم حبشيات، ولا يمكنهم القول بإنهم يمنيون لكون آبائهم كانوا مهاجرين يمنيين، إذ يقول النص عن شخصية السكرتير:

«أما هو فغريب، لا يستطيع أن يقول إنه يمني فهو لا يعرف اليمن، لم يرها في حياته. سمع عنها الكثير ولكنه لا يعرفها ترى لو ذهب إليها كيف تستقبله؟ لعلها تلفظه كما تلفظه هذه الأرض التي ليست أرضه، بالرغم من أنها أرض أمه، نعم.. إنه ويا للأسف ليس حبشياً. إذن من هو؟ نعم من أنا؟ يقولون عليه «مولد» وأين هي أرضه؟ وأين هو شعبه؟...»[37].

فضلًا عن ذلك فقد أكد النص مدى الاغتراب الذي تعاني منه شريحة المولدين بوساطة أمرين: الأمر الأول: مجيء شخصية السكرتير بلا اسم، وهو الشخصية التي تمثل شريحة المولدين، فقد عرّفه النص من خلال وظيفته «سكرتير»، وهذا الأمر لا يخلو من دلالة، فالاسم حق للإنسان وعلامة عليه، فكأن النص حين أغفل اسم هذه الشخصية أو تغافل عنه كان يرغب في إظهار مدى الظلم الذي أصابها، فشخصية «المولّد» ليست أكثر من وظيفة، أو كائن مجرد من حقوقه وعلاماته المميزة التي تحدد كيانه، وتشعره باستقلال شخصيته وتفردها وانتمائها في الوقت نفسه، كائن يفتقر إلى شروط كثيرة حتى يغدو «مواطنًا»، إنه «لا أحد» على حد تعبير النص، غريب وضائع، لا يملك وطنًا ولا هوية[38].

أما الأمر الثاني: مجي الدالين(غريب – غرباء) نكرتين في النص وتكرار وجودهما في سياق النص عشرين مرة، ما عدا مرة واحدة جاء فيها لفظ «غريب» معرفًا بأل التعريف، وذلك في قول النص في حوار للسكرتير:

«ترى هل سنجد في النهاية طريقنا الحقيقية؟ هذه المرأة التي تضع الزهور على قبر هذا الإنسان، بملابسها السوداء، بوجهها الجميل، حتى عندما يكون حزيناً ترى ما الذي تحمله لهذا الغريب الذي مات دون أن يترك شيئاً سوى قبره؟»

فالمولّد مخلوق نكرة في هويته وفي وجوده، حتى أن غربته تتسع لتشمل مشاعره ومحيطه، فإذا بمشاعره وأحاسيسه تشوبها الغرابة أيضاً، ومن ذلك ما ورد في النص في وصف مشاعر السكرتير تجاه طفل عبده سعيد غير الشرعي، يقول النص:

«وابتسم السكرتير.. إنه أيضًا مولّد؛ لذلك كان يشعر نحو هذا الطفل الذي لم يره بحب غريب، إنه مثله ممزق لا يعرف وطنًا ينتمي إليه، أو ترابًا يحتويه.. إنه غريب وسط مجتمع أغرب استخدم السخرية سلاحًا له لتنقذه من غربته التي تمزقه، وتشعره بأنه يختلف عن الآخرين»[39].

فحبه للطفل شعور غريب، ومجتمعه أكثر غرابة، وبذلك تتضح سيطرة الغربة على حياة المولدين في كل جوانبها وتفاصيلها الدقيقة.

كما تشكلت غربة النموذج الثاني للمهاجرين، شخصية الحاج عبداللطيف في ابتعاده عن هدفه الذي دفعه إلى الهجرة، وهو دعم الثورة والأحرار في اليمن، لكن هدفه سرعان ما يتحول من هدف حقيقي إلى ذريعة يتمكن بوساطتها جمع المال بوصفه تبرعات لدعم الأحرار في اليمن، بل إنه أصبح يمتلك زوجة وأولادًا في بلاد المهجر، إذ ورد في النص في حوار الحاج عبداللطيف مع إحدى شخصيات النص الثانوية:

«ـ مالك صامت.. مادام الرجل يزني وينجب أطفالًا في الحرام فلا يهمه أن يشرب الخمر أليس كذلك؟

ـ كيف أقول لك.. أنت بنفسك تدري يا حاج أن الكثير منا..

واستدرك قائلًا أعني اليمنيين يعرفون مختلف النساء فهل معنى هذا أنهم أيضًا يشربون.

ولكن الحاج أجاب بسرعة:ـ أنا قلت عن هؤلاء الشباب أولئك الذين لم يتزوجوا.. أما نحن والحمدلله فلدينا عوائلنا وأولادنا ولا نحتاج إلى ارتكاب المعصيات استغفر الله العظيم منها»[40].

ومن ثم فإن فكرة العودة إلى اليمن لم تعد تراوده بشكل جدّي، إذ لم يعد يمتلك شخصية الثائر التي قدم إلى أرض المهجر بها. إذ إن تكوينه لأسرة جديدة في أرض المهجر دليل على تحوله عن هدفه وتغيّر توجهاته، يدل على ذلك ما ورد في الملفوظ الآتي في حوار للسكرتير مع الحاج عبد اللطيف:

«ـ هل جننت اليوم.. ولكن نحن نعمل من أجل أن يأكل الناس في بلادنا.. لم نهاجر إلا لنحاول أن ننقذ بلادنا.

ثم أضاف وفي صوته نوع من السخرية:

ـ أنا أعرف أنكم أنتم «المولدون» لن تهمكم مشاكلنا.. وأنتم لن تفهموا سواء حسب علينا أننا نريد أن نحرر بلادنا أولًا أم لا، ولكنكم أتيتم لتكونوا عبئًا علينا..

ـ كلا يا سيدي أنتم لم تأتوا لتحرير بلادكم، لقد أتيتم هنا هروبًا من شبح الإمام.. لقد خفتم ولو كنتم حقًا تريدون ذلك فلماذا تزوجتم وانجبتمونا لتقولوا في النهاية هذا الكلام؟»[41].

كما أن الحاج عبداللطيف أصبح من أثرى المهاجرين في حي «سدست كيلو» في بلاد المهجر، كما أن حلمه أصبح قبرًا جميلًا في بلاد المهجر، إذ يقول في النص أثناء حوار له مع السكرتير:

« . أجمل قبرٍ في الدنيا قبر عبده سعيد.

كان الحاج عبداللطيف واقفًا بصمت أمام القبر الذي يوارى ترابه. ونظر إلى الشجرة الباسقة التي تربض بالقرب من القبر بجانب حافة النهر الذي تغطيه أشجار لا متناهية الخضرة والجمال.

. لقد وجد قبرًا أحلم أن يكون لي مثله.

نظر إليه السكرتير وابتسم..

. أهي القبور نهاية المطاف لكل هذا النضال وهذه الحركة؟»[42].

أما غربة السيد أمين، فقد تشكلت عبر صورتين: الأولى: انفصاله عن الوظيفة الحقيقية لرجل الدين باعتباره رجل دين، وانتقاله إلى استغلال الناس لجمع المال منهم والعيش على عاتقهم بالاحتيال عليهم وإيهامهم بأنه محاط بالبركات ويحدث الملائكة، ومن ذلك قول السيد أمين في حوار له مع الحاج عبداللطيف حول أمر عبده سعيد وابنه غير الشرعي:

«لقد علمت بهذا الأمر عندما كنت في خلوتي سمعت صوتًا عذبًا يقول لي: يا سيد أمين كيف تترك إنسانًا مسلمًا في أيدي النصارى ولا تسرع لإنقاذه، أيكون هذا وأنت تعيش، فكيف إذا مت.. أنت يا سيدي مسئول عن عبدالله وقد أجبته قائلًا: مولاي وسيدي من أين لعبدك المسكين أن يعلم ما دام هاجعًا في عبادتك، متضرعًا طالبًا مغفرتك، مولاي إنني عبد فقير إلا في حبك. وقد أجابني الصوت قائلًا: لا بأس عليك نحن نعلم ما في القلوب ولكن رأيت أن أحذرك، وأقول لك إن عبادة الله وحدها لا تكفي...ألا تعلم أن عبده سعيد قد عصى، وارتكب معصية، فقد زنى بامرأة يقال لها "فاطمة" أنجبت منه ابنًا، وقد اخترت "فاطمة" إلى جواري بعد أن تعذبت في الدنيا من مرض أصابها، وقد تركت ابنها الذي ولد بالحرام ولكن من أبوين مسلمين لكافرة فأسرع يا سيد بإنقاذ روح هذا الإنسان المسلم تفز بالرحمة»[43].

فالسيد أمين كما يؤكد كلامه مع الحاج عبداللطيف يدّعي أن الملائكة تكلمه فتنقل له رسائل من الله ليخبره بأمور الناس، كما أخبره بأمر فاطمة وابنها غير الشرعي، وحال مرضها الذي توفيت نتيجة له، وهو بذلك يحتال على الاثنين، يحتال على طائتو التي طلبت منه انقاذ الطفل من الضياع، ويحتال على الحاج عبداللطيف ناقلا له ما قالت له طائتو مدعياً أنه وحي من الله وقد كلّفه بإنقاذ الطفل من الكفر والاهتمام به، فيحقق ما طلبته منه طائتو، مبهراً الحاج عبداللطيف بمعرفته بحقيقة أمر المرأة وطفلها، فيؤكد الإشاعات التي تدور حول محادثة الملائكة له، ليزيد ذلك من شعبيته، واتباعه، وإيمان الناس به وتصديقهم له، يدل على ذلك الملفوظ الآتي:

«...وهم يرونه دائماً أبيض الوجه نظيفاً إلى درجة اللمعان أما كيف ومن أين يعيش فأتباعه يقولون إن الملائكة تحمل للعائلة شهرياً كل محتاجات المنزل، والحقيقة أن أحدهم كان يرسل إليه من مطلع كل شهر كل المحتاجات ويستلم ثمنها طبعاً من آخرين مجهولين وكان السيد يقول:

. كل ذلك من بركات ربي وسعة نعمته.

وبالرغم من اعتزاله في منزله إلا أنه كان معروفاً في كل أديس أبابا وكان منزله دائماً قبلة الناس في أيام الأعياد ولا يستطيع أحد أن يحصي عدد الهدايا التي تقدم بهذه المناسبات»[44].

أما الصورة الثانية فكانت في الغرابة التي أحاطت به لدى الناس، من تصرفات وأحداث خفية تجري داخل غرفته، وحقائق يجهلها الجميع، من ذلك قوله:

«...فهو لم يخرج من غرفته تلك مدى العشر سنوات الأخيرة، ولا أحد يعرف كيف يغتسل وأين يقضي الضروريات»[45].

الأمر الذي يدفعهم إلى نسج العديد من الروايات المختلفة حول الأمور التي يجهلونها حوله، منها ما تناقله الناس حول كيفية ذهابه إلى المسجد الأقصى الذي يدّعي قيامه بأداء صلاة الجمعة فيه، يدل على ذلك ما ورد في النص:

«وكان السيد لا يذهب إلى المسجد لصلاة الجمعة وعرف في أديس أبابا أنه لا يسمع له صوت في خلوته بمحرابه الداخلي . ثم سمع أنه يحضر صلاة الجمعة دائماً في مسجدين اثنين في الشهر في المسجد الأقصى حيث أسري بالنبي ومرتين في مكة، وأخرى في المدينة أما كيف يصل إلى هناك، فقد اختلف الرواة، فبعضهم يقول إن الملائكة تحمله وهو يلبس ملابسه البيضاء التي تشبه ملابس الملائكة وتطير به إلى هناك...ـ والبعض الآخر يقول إن حصان النبي –البراق– الذي أسرى به إلى السماء يأتي ليحمله... الشيء الأساسي أن الجميع كانوا مختلفين ومتفقين على شيء واحد هو أن السيد أكثر من ولي إنه روح طاهرة»[46].

وقد ورد لفظ (غرباء) في النص دالًا على شريحتين: الأولى: المهاجرين اليمنيين، الشريحة الثانية: المولدين. أما دال الموت فقد ورد في سياق النص مرتبطًا دلاليًا وتركيبيًا بدال الغربة، فالموت الحقيقي تمثّل في موت «فاطمة» إحدى نساء عبده سعيد الحبشيات، يقول النص في حوار دار بين طائتو وعبده سعيد:

« . اسمع لقد أتيت إليك لأقول لك إن «فاطمة» قد ماتت بالأمس. أنت وأكملت:

تعرفها تمامًا.. لقد ماتت بعد أن عانت المرض أكثر من ستة أشهر ولم تستطع أن تتحمل أكثر.. تحمل طفلًا صغيرًا.. وأنت تعرف أنه ابنك أنه وحيد لا أحد لديه..»[47].

إن الغربة –هنا– تحمل في دلالاتها معنى الانفصال، والابتعاد، وموت «فاطمة» كان نتيجة انفصال الروح عن الجسد، فانتقلت من عالم معلوم إلى عالم مجهول، كذلك موت عبده سعيد، إلا أنه

فضلاً عن كون موته في النص موتًا حقيقيا، فإنه قد مات موتًا نفسيًا قبل ذلك من خلال موت معتقداته في نفسه، وانفصاله عن قيمه وإنسانيته، والمبادئ التي نشأ عليها، فغربته جعلته بلا قيم أو شعور بالمسؤولية أمام أمور حياته وما يقوم به من تصرفات، منشغلًا في ذاته ومصالحه الفردية، منفصلًا بذلك عن هموم من حوله ومعاناتهم، لتكوّن غربته بأشكالها المختلفة، سببًا في موته نفسيًا قبل موت جسده.

أما الشخصيات الأخرى فقد دل النص من خلال سياقاته على موتها موتًا نفسيًا، يتمثل في تخليهم عن القيم أولًا، وعن مبادئهم ونسيانهم لها، واستبدالها بأحلام وطموحات فردية أخرى، فمثلا عبده سعيد تموت رغبته بالعودة إلى أهله ووطنه رغم تحقيقه لهدفه الذي سافر من أجله إذ أصبح لديه أجمل دار في القرية، لكن طمعه بجمع المزيد من المال أمات رغبته في العودة، لولا أن تفكيره بذلك فيما بعد كان هروبًا من مشكلة نسب ابنه غير الشرعي، إلا أنه لم يستطع العودة فبقي غريبًا، ومات غريبًا، ودُفن في قبور الأحباش في أرض غريبة لا ينتمي إليها. كما يقول في الملفوظ الآتي:

«..لقد مات غريبًا كما يموت مئات اليمنيين في كل أنحاء الأرض يعيشون ويموتون غرباء دون أن يعرفوا أرضًا صلبة يقفون عليها.. أما هذا القبر فهو ليس قبره إنها ليست أرضه وليست أرضنا.. إنها قبور أناس آخرين.. قبور الأحباش نحتلها نحن، ألا يكفي أن نلتهم اللقمة من أفواههم، لنلتهم حتى قبورهم! يا إلهي! كم نحن غرباء، كم نحن غرباء!!»[48].

كذلك شخصية الحاج عبداللطيف تتسبب غربته بأشكال مختلفة في موت هدفه الوطني، وانشغاله بهمومه الفردية، ليصبح حلمه هو الحصول على قبر جميل في بلاد المهجر مثل قبر عبده سعيد، إذ من ذلك يتضح موت دوافعه وأهدافه التي هاجر من أجل تحقيقها، فيموت شعوره بالهم الجمعي، فينفصل عن وطنه انفصالًا حقيقيًا ونفسيًا.

وبذلك يكون دال "الغربة" قد استعمل في النص ليدل على الاغتراب بعامة، والغربة النفسية على وجه الخصوص، ومما يؤكد ذلك إلى جانب كل ما سبق، الملفوظ الآتي:

«لقد مات غريبًا كما يموت مئات اليمنيين في كل أنحاء الأرض يعيشون ويموتون غرباء دون أن يعرفوا أرضًا صلبة يقفون عليها..»[49].

إنه يؤكد أن اليمنيين يموتون في كل أنحاء الأرض دون استثناء، بما يعني أنهم قد يموتون غرباء في أوطانهم أيضًا، ولا يقتصر موتهم غرباء على تواجدهم في أرض المهجر، فلفظة «أرض» هنا تشمل أرض الوطن، وأرض المهجر، وكل أرض أخرى، فعدم شعورهم بالانتماء إلى أرض الوطن جعلهم يهربون من همومها متخليين عن الدفاع عنها، والتمسك بها وبحقهم فيها مما جعلهم يشعرون بعدم قدرتهم على الاعتماد عليها في تحقيق ذواتهم وأحلامهم، إذ يرونها هشّة وضعيفة، وليست مسؤولة منهم أبداً، لذلك دارت أحلامهم

وحياتهم في هموم فردية هشّة تسببت في ضياعهم، وفي مصيرهم البائس، فالبحث عن الهوية مرتبط بالبحث عن المكان[50]، فعلى الإنسان إدراك حقيقة بالغة في القدم فحواها أن وجوده لا يتحقق من خلال علاقته بالمكان، وأنه على قدر إحساس الإنسان المرتبط بالمكان يكون إحساسه بذاته[51]، إذ إن الشعور بالانتماء والانشغال بالهم الجمعي هو من أخرج "والد السكرتير" من خانة الغرباء...

ويبدو أن عدم شعور المهاجر اليمني بالانتماء، وانشغاله بالهم الفردي هو ما جعل أرض المهجر تقتل أحلامهم، تقتلهم نفسيًّا، وتجعل ذواتهم وتجعل طموحاتهم بلا قيمة، وذلك ما أكده قول السكرتير في حديثه مع ابن عبده سعيد غير الشرعي:

«انظر يا صغيري.. هنا في كل هذه المقبرة ينام إلى الأبد أناس غرباء لم تلدهم هذه الأرض ولم تنشئهم وتربيهم.. ولكنها قتلتهم لأنهم قوم غرباء...»[52]

فأرض المهجر لم تقتلهم حقيقة، وإنما قتلت قيمة ذواتهم، وأحلامهم لما فيها من فردية وأنانية.

أما ظهور العنوان في النص، فقد امتد ظهوره في المقاطع السردية الستة للراوية منذ البدء حتى الختام، إلا أنه في الأربعة الأولى امتد دلاليًا، ولم يرد معجميًا أو تركيبيًا، إذ ورد في المقطع الأول في سياق يدل على فقدان الهوية، يقول النص:

«الجميع يسمونه . كما يسمون أمثاله من اليمنيين المهاجرين . "جمالة" ولم يكن يغضب كما قد يغضب غيره بل كان يبتسم لهم في مودة، وأحياناً كان يسمونه «صالح» بالرغم من أن اسمه كما هو مسجل في الجواز كان "عبده سعيد"».[53]

ويستمر السرد في المقطعين الثالث والرابع حول حياة المهاجرين الغرباء وجهل الناس لكثير من الأمور حولهم، إلى الدرجة التي تجعلهم يختلقون الروايات، والتخمينات حول الأمور التي يجهلونها ويخفيها المهاجرون، مثل السيد أمين وما يحدث في غرفته، وعبده سعيد وما يحدث في دكانه، وما كان في ماضيه. ورغم غياب العنوان معجمياً وتركيبياً في المقاطع الأربعة الأولى من الرواية، إلا أن ظهوره دلاليًا فيها أجاب عن تساؤل مهم أثاره العنوان لدى المتلقي قبل دخوله إلى عمق النص، هو من هم هؤلاء الغرباء الذين يموتون؟، إذ إن المقاطع الأربعة اشتغلت على وصف وتقديم شخصيات النص، وأشكال الغربة التي يعيشون فيها.

أما المقطعان الخامس والسادس، فقد ظهر العنوان فيهما بشكل مكثف في مستوياته الثلاثة، الدلالي، والمعجمي، والتركيبي، إلا أن ظهوره في المقطع الخامس كان ظهورًا جزئيًا، إذ ورد دال "غرباء" ومشتقاته في معزل عن دال "الموت"، ومن ذلك قول النص عن السكرتير:

«أما هو فغريب لا يستطيع أن يقول أنه يمني فهو لا يعرف اليمن لم يرها في حياته...»[54].

فجاء لفظ "غريب" في هذا السياق دالًّا على فقدان الهوية وتأزمها، وفي موضع آخر:

«هم غرباء حتى ولو وجدوا في النهاية المكان الذي يحتمون به».[55]

يدل لفظ "غرباء" على غربة المولدين الحقيقية كونهم لا يملكون وطنًا ولا شعبًا ينتمون إليه ويرتبطون به بصفتهم جزءًا من الكيان المجتمعي فيه، كما يدل كذلك على غربتهم النفسية واغترابهم نتيجة لشعورهم بعدم الانتماء، أما في المقطع السادس فقد كان ظهوره كليًّا، في ارتباط وثيق مع دال "الموت"، فظهر في تركيبه الكامل (يموتون غرباء):

«لقد مات غريبًا كما يموت مئات اليمنيين في كل أنحاء الأرض يعيشون ويموتون غرباء دون أن يعرفوا أرضًا صلبة يقفون عليها..»[56]

إن الموت والغربة كلاهما انفصالٌ يؤدي إلى الآخر، وقد تكرر ظهوره في هذا المقطع معجميًا وتركيبيًا بصورتيه الكلية والجزئية، فضلًا عن ظهوره الدلالي الذي يسيطر على سياقات المقطع منذ البدء حتى الختام.

كما يُلاحظ ظهور العنوان في مقاطع النص كلها بشكل تدريجي، إذ بدأ ظهوره في الأربعة المقاطع الأولى بشكل دلالي فقط، ثم ظهر في المقطع الخامس في صورة جزئية معجميًا ودلاليًا، ليظهر بعد ذلك في المقطع السادس والأخير ظهورًا كليًا تركيبيًا ومعجميًا ودلاليًا، وبذلك مثّل العنوان الدلالة المركزية للنص بوصفه دائرة إشارية تتواجد على امتداد النص الروائي ذاته مما حقق إعادة إنتاج العنوان بأكثر من شكل، بدلالات متعددة ومختلفة، إذ تنوع في أشكال حضوره فكوّن إشارات مختلفة ترتبط ببعضها فكريًا ودلاليًا، مما جعله مؤطرًا عامًا للنص الروائي برمته.

ومن خلال ما سبق تستنتج الدراسة:

1. أن العنوان قد حضر في النص بصور مختلفة.
2. أن دال الموت ورد في النص دالًا على الموت النفسي/المجازي بشكل أساسي، أكثر من دلالته على الموت المادي/ الحقيقي.
3. أن دال الغربة ورد في النص دالًا على اغتراب الذات والغربة النفسية، أكثر من كونه دالًا على الغربة الحقيقية.
4. كما توصل البحث إلى تصنيف الغرباء على النحو الآتي:

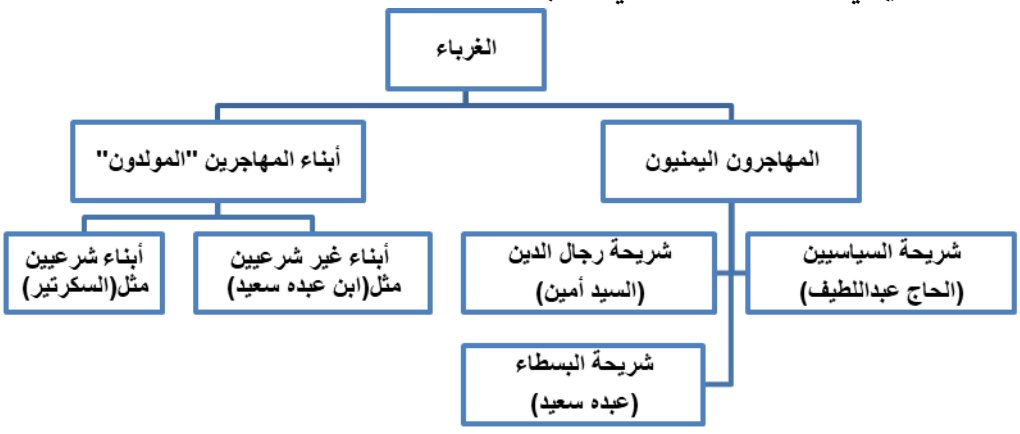

المبحث الثاني: عتبة العنوان في رواية "صنعاء مدينة مفتوحة"

في هذا العنوان يقف المتلقي أمام ثلاث دوال اسمية يحمل كل منها حقلًا دلاليًا خاصًا به، مضيفاً إلى الدالين الآخرين دلالات أخرى تفرضها حالة التضايف والإسناد بين دوال العنوان الثلاثة، فجملة (صنعاء مدينة مفتوحة) جملة أسمية إسنادية أخير فيها عن صنعاء بأنها (مدينة) مضيفًا بذلك إلى (صنعاء) المكان كل ما يحيل إليه لفظ (مدينة) من معاني الثقافة والتحضر والتقدم إلا أن وصفها بأنها (مفتوحة) ألغى وجود كل تلك المعاني والدلالات إذ إن شرط توفرها في أي مكان هو الانفتاح على ما حوله من الأمكنة والثقافات، بشيء من المرونة في الأخذ والعطاء معها وفيما بينهما، لذلك وضعها بأنها مفتوحة ليلقي صفة الانفتاح الموجود في معنى لفظ (مدينة) كانتقاد لأوضاعها، كما أن صفة (مفتوحة) جاءت على صيغة (اسم المفعول)[57] بما يوحي بسلبها الفاعلية الموجودة في لفظ (منفتحة) وهي الصفة التي يفترض تواجدها وتوفرها في أي مدينة، بما يعني أنها فُتحت بالقوة من قبل فاتح ما، ولم تنفتح طوعًا وإرادة أو تجاوب منها....

لكن السؤال هنا لماذا وصفها بأنها (مفتوحة)؟ لماذا (مفتوحة) وليست (منفتحة)؟ من القائم بهذا الفتح؟ وما نوع هذا الفتح الذي وقع عليها؟

كل هذه التساؤلات يثيرها العنوان لدى المتلقي دافعًا إيّاه إلى عمق النص بحثًا عما يساعده في الإجابة عنها وتفسيرها، فالكلمة الفاصلة والأخيرة في تأويل شفرة العنوان وفكها، تبقى دائمًا مرهونة بما يقوله النص...

لكن المتلقي عند دخوله إلى عمق النص يلاحظ أن المكان الذي خُص بالذكر في العنوان "مدينة صنعاء" لم يتواجد بصفته مكانًا جغرافيًا أو مدينة مستقلة وعاصمة سياسية إلا في الثلث الأخير من الرواية، حيث امتدت أحداث الرواية من القرية إلى عدن إلى زبيد مختتمة بمدينة صنعاء، وهذا أمر يثير كثيرًا من التساؤلات، إذ إن العنوان في أول ظهور له خلال المتن، ظهر بوصفه شعارًا لمجموعة من الطغاة والمخربين في فترة من الفترات التي سبقت الثورة اليمنية، يقول النص:

«واشتعلت المدينة ذات يوم وابتدأت ثلثهم منازلها النيران وذهبت أجري لأرى ما حل بدكاني، وهناك كانت البقايا تتحدث عن الوحشية.. ورأيت الجيش الغازي.. مجرد أناس لا يعرفون سوى النهب كان شعارهم قائدهم "صنعاء مدينة مفتوحة"»[58]

مما يدل على أن (صنعاء) لم ترد في النص كونها فضاءً مكانيًا محددًا، بل وردت في سياق تعبيري يحمل دلالات معينة، إذ إن المقصود في النص هو الشعار برمته متخذاً من وجود صنعاء فيه رمزًا لكل مكان في أرض الوطن، ومن ثم فإن الفضاء المكاني مدينة صنعاء تشكَّل حضوره في المتن من خلال دلالته الرمزية التي اكتسبها بوجوده جزء من ذلك الشعار، بما يحمله في سياقه

من دلالات على الرعب، والعجز. فبرغم غياب العنوان تركيبيًا، ومعجميًا في ثلثي الرواية، إلا أن الدلالة الرمزية للشعار "صنعاء مدينة مفتوحة"، كانت حاضرة منذ أول لحظة في انطلاق السرد، أو الدخول في عالم التخييل، فالعنوان بهويته التي وضحها النص في أول ظهور تركيبي له، أشار إلى عدد من الدلالات التي أشار إليها في سياقه الخاص، وأهمها:

1. وجود أناس غرباء في مدينة صنعاء، إذ ورد في النص على لسان الصنعاني: «**ورأيت الجيش الغازي.. مجرد أناس لا يعرفون سوى النهب، كان شعارهم قائدهم "صنعاء مدينة مفتوحة"**»[59].

فالذين اقتحموا المدينة غزاة، والغازي هو من يبسط نفوذه وسلطته على غير ممتلكاته، بما في ذلك الأمكنة بمختلف أنواعها.

2. إباحة المدينة لكل أنواع الاضطهاد، والفوضى: فقد اقتصر دور مجموعة الدخلاء على نشر الرعب وممارسة كل أشكال الظلم والفوضى على سكان مدينة صنعاء وممتلكاتها، إذ وصلوا إليها مفتوحة ومباحة لهم، من قِبل طرف آخر، قد يكون الإمام في ذلك الوقت، وقد يكون ضعف الناس وعجزهم عن الدفاع عن مدينتهم والتمسك بحقهم فيها، وقد يكون الأمرين معًا، ويؤكد ذلك قولهم (مفتوحة) وهي صفة خالية من أي فاعلية، لم يقولوا سنفتح مدينة صنعاء، ولا ستنفتح مدينة صنعاء، بل قالوا مفتوحة دلالة على أن فعل الفتح وقع مسبقًا، يدل على ذلك قول الصنعاني:

«**كانت صنعاء حقا مدينة مفتوحة للغجر، للهمج**»[60].

3. حمل دلالة الهروب، والعجز، ويتمثل ذلك في الملفوظ الآتي: «**وتركت صنعاء.. بعد أن سقطت بين يد الإمام الجديد، بعد أن تحطم كل شيء فيها.. حتى الإنسان، نعم حتى الإنسان ذلك الجبار الذي صنع المعجزات وما زال يصنعها تحطم تلك الأيام في مدينتنا**»[61].

فمن يقودهم هذ الشعار دفعوا بالناس إلى الهروب والخوف، والعجز أمام ما يمارسوه من عنف وظلم.

4. تنوع الثقافات: من خلال دلالة الانفتاح التي يقتضي أن تتضمنها كلمة «مدينة».

5. دلالة المكان: فمدينة صنعاء فضاء مكاني مفتوح.

6. دلالة التأنيث: فصنعاء، ومدينة مؤنثتان.

وبذلك يتضح شكل حضور العنوان في المتن منذ أول لحظة في انطلاق السرد، أو الدخول في عالم التخييل، إذ إن النظر إليه دون مراعاة رمزيته التاريخية والسياسية في النص، سيقحم المتلقي في كثير من الغموض والتساؤلات المحيرة، ومن ثم يلغي وجود أي علاقة بين العنوان والمتن في هذه الرواية، ولكن النظر إلى العنوان من خلال وظيفته الدلالية الرمزية يؤكد حضور العنوان في كل أجزاء الرواية حضورًا رمزيًا دلاليًا، إذ إنه معجميًا وتركيبيًا غائبٌ تمامًا في متن النص، ما عدا حضوره تركيبيًا بصورته الكلية مرة واحدة في منتصف النص، وجاء دالًا على فترة زمنية

وتاريخية معينة، مرتبطًا بجماعة معينة، حاملًا لعدد من الدلالات الناتجة عن حضوره الرمزي في النص، إذ اكتظ النص بكل أشكال العجز والاضطهاد، وملامح الاغتراب التي انعكست من خلال دلالة العنوان، فالعنوان -كما سبق ذكره- تركزت أهميته في وظيفتين، التسموية، والرمزية، إذ لم تُذكر مدينة صنعاء باعتبارها مكانًا جغرافيًا إلا في الثلث الأخير من النص، ولم تكن الفضاء المكاني الذي انطلقت منه أحداث النص، وإنما كان وجودها في العنوان وجودًا رمزيًا، إذ اقتصر حضورها معجميًا في النص على كونها رمزًا للمدن اليمنية الشمالية، أما في سياقه الرمزي فقد دل على وضع المدن الشمالية كلها، وانعكاس أثره في اغتراب الإنسان اليمني، بكل ما يحمله دال الاغتراب من معاني العجز والضعف والهروب، والانعزال، والشعور بانعدام الهدف، وانعدام القيمة، إذ إن شخصيات الرواية ارتبطت بمدن يمنية مختلفة، فالصنعاني ارتبط بمدينة صنعاء، وشخصية البحار ارتبطت في حضورها بمدينتين مدينة زبيد، ومدينة الحديدة، وكما هو ملاحظ فإن هذه المدن، مدن شمالية، ومما يؤكد ذلك ما ورد في النص:

«الشمال، وأرض الشمال، سماء الشمال، كلها حبيبة إلى القلب..، وتنهد "البحّار"، وأرى دموعاً تكاد تخرج من عينيه، هي دموع الذكرى والحب الذي كان يحمله هذا الإنسان للشمال...»[62].

كما أن الأماكن بعامة التي وردت في النص سواء كانت مدينة، أو قرية هي أماكن تنتمي إلى شمال اليمن ما عدا عدن فإنها مدينة تحمل الدلالة الرمزية ذاتها التي حملتها مدينة صنعاء، فصنعاء رمز للشمال، وعدن رمز للجنوب، وقد تعرض الإنسان اليمني فيها للمعاناة ذاتها التي تعرض لها في المدن الشمالية، وهذا الأمر أول إشارة تحول للعنوان، إذ إن رمزية العنوان عامة، ومدينة صنعاء خاصة اتسعت في سياقات النص لتشمل الدلالة على عدن، المدينة الجنوبية، وهذا يعكسه قول نعمان في حوار له مع الصنعاني بعد فصلهم من العمل في مدينة عدن:

«ما يا نعمان.. سأعود إلى صنعاء؟

. نعم يا عزيزي، سنعود إلى صنعاء..

. ماذا سيقولون علينا.. مزفرين..؟

. دعهم يا عزيزي يقولون ما يشاؤون. لقد قمنا بقليل من واجبنا..

...

. شانكتب جواب للبحار مه؟

. ولمحمد مقبل أيضاً..

. شنخليهم يرجعوا صنعاء..

. ليس هناك فرق..»[63].

فقول نعمان "ليس هناك فرق" حمل دلالتين، الأولى: أن الحياة التي قد يجدوها في عدن هي الحياة نفسها التي يمكن أن يجدوها في صنعاء برجوعهم إليها، فكلاهما مدينتان مليئتان بالظلم والشقاء والاستعمار، الفرق الوحيد أن إحداهما تقع في الجنوب، والأخرى تقع في الشمال، وأن

استعمار الشمال داخلي، أما الجنوب فهو استعمار خارجي. الدلالة الثانية: أن مدينة صنعاء، ومدينة عدن مدن يمنية لا فرق بينهما، فكلاهما جزء من الوطن.

- **علاقة عتبة العنوان في روايتي محمد عبد الولي بالمتن**

يمثل العنوان في أهميته بنية إشارية لغوية دالة، تحمل كثيرًا مما قد يخفيه النص، بل قد يحيل إلى ما لا يقوله، من خلال تلك المنطقة المبهمة التي يقف المتلقي فيها ما بين العنوان والنص[64]، كما يعتبر بطاقة تعريفية تمنح النص هويته. وقد عده خالد حسين العتبة الأخطر بين كل العتبات، في علاقته بكل من النص والقارئ؛ لأنه يهب النص كينونته؛ إذ إن النص لا يكتسب الكينونة إلا بالعنونة، كما يمثل الدليل الذي يفضي بالقارئ إلى النص[65]. كما تتشكل علاقة العنوان بالمتن من خلال الدور الوظيفي للعنوان.

ولم يعد الاهتمام في هذا المحور حول وجود علاقة بين العنوان والمتن، أو انعدامها، وإنما الاهتمام بكيفية تشكّل هذه العلاقة، وأشكالها، ودورها في توجيه عملية التلقي والقراءة، أما وجودها فقد أصبح أمرًا بديهيًا، انطلاقًا من مفهوم العنوان بوصفه نصًا صغيرًا مختزلًا، يضم وظائف شكلية وجمالية[66]، ودلالية، فيُعد المدخل الأول والأهم إلى متن نص كبير، بينما يكون للنص الكبير/المتن دورٌ فاعلٌ في توجيه صياغة ذلك النص الصغير[67]/العنوان، والكشف عن دلالته وتفسيره.

وبذلك لا يمكن لأي منهما الانفصال، أو الاستغناء عن الآخر بشكل كلي، فالنص يحتاج لمن يسميه ويشير إليه، والعنوان يحتاج إلى من يفسره، ويحدد دلالته وأبعاده، وغالباً ما يكون كلٌ منهما سبباً في وجود الآخر[68]، فقد يُصاغ العنوان بسبب وجود النص؛ ليسميه ويختزل دلالته، وقد يحدث العكس فيبنى النص ليفصل العنوان ويفسره.

أما كيفية تشكّل هذه العلاقة، وأشكالها في روايتي محمد عبدالولي "يموتون غرباء" و"صنعاء مدينة مفتوحة"، فيمكن القول إنه من خلال تتبع الدراسة لامتداد العنوان وأشكال حضوره في المتن، قد حضر في رواية "يموتون غرباء" بأشكال مختلفة، إذ طغى حضوره دلاليًا على النص برمته في الدرجة الأولى، منذ جملة البدء حتى جملة الختام، ومن ثم يأتي في درجة ثانية حضوره معجميًا وتركيبيًا في النصف الأخير من النص،

فشكّل العنوان المركز الإشاري لدلالات النص، والمؤطر العام لها، وشكّل النص المحدد الوحيد لدلالة العنوان، فيجيب عن تساؤلات المتلقي التي أثارتها لديه بنية العنوان، من هم الغرباء؟، وما ماهية الغربة التي يعانون منها؟، ما حقيقة موتهم؟، موتًا معنويًا، أم نفسيًا؟، ولماذا جاء فعل الموت بصفة جمعية، مشتركة؟، ولماذا ارتبط حدث موتهم بالحال "غرباء"؟، وبذلك تكون العلاقة بينهما في رواية "يموتون غرباء" علاقة وظيفية تكاملية تفاعلية، إذ عمل النص على اعادة انتاج العنوان بأكثر من شكل، وأكثر من دلالة.

أما رواية "صنعاء مدينة مفتوحة" فبرغم غياب العنوان تركيبيًا، ومعجميًا في ثلثي الرواية، إلا أنه بدلالته الرمزية التاريخية التي احتوى عليها بوصفه شعارًا تعلق بفترة تاريخية، أو زمنية معينة، مرتبطاً بجماعة وأعمال معينة –كما وصفه النص–، أثبت حضوره في المتن ودوره في توجيه مجريات الأحداث فيه منذ أول لحظة في انطلاق السرد، أو الدخول في عالم التخييل، إذ يعكس النص تعرّض الشخصيات للقمع ذاته، والفوضى ذاتها التي ارتبط بها ذلك الشعار، بأشكال مختلفة، في مختلف المدن الشمالية، التي وردت صنعاء رمزًا لها، بوصفها مدينة شمالية أولًا، ومن ثم صوّر الأمر ذاته في المدن الجنوبية، لينتقل بصنعاء من الرمزية الخاصة بالمدن الشمالية، إلى اليمن بجزئيه، الشمال والجنوب معًا، كما جمع في دال «مفتوحة» بين دلالة وجود غرباء هم من قاموا بأعمال الشغب، وبين دلالة وجود تواطؤ من سادة المدينة الذين يمسكون بزمام الأمور، بمعنى أدق أنها دلت على الاضطهاد الواقع من الداخل ممثلًا في حكومة الإمام في الشمال، وعلى الاضطهاد الواقع من الخارج ممثلاً بالاستعمار في مدينة «عدن»، وبذلك تكون العلاقة بين العنوان والنص علاقة إيحائية، رمزية، عملت على إعادة تشكيل العنوان في النص من خلال دلالته الرمزية. التي جعلت دلالة العنوان تتوزع على أجزاء المتن منذ البدء حتى الختام.

نتائج الدراسة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة الآتي:

- أن العنوان في روايتي محمد عبد الولي اعتمد في دوره الوظيفي على الرمز الذي عمل بدوره على اختزال فكرة النص بكل ما تضمنه من دلالات مباشرة وغير مباشرة.
- أن العنوان في روايتي محمد عبد الولي تعالق مع النصوص عبر علاقات مختلفة، عمل من خلالها على مساعدة المتلقي في فهم فكرة النص وسبر أغواره وعوالمه.

الهوامش:

(1) ينظر: عبدالحكيم باقيس، ثمانون عامًا من الرواية في اليمن (قراءة في تأريخية تشكل الخطاب الروائي اليمني وتحولاته) دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط1، 2014م، ص292،293.

(2) ينظر: شعيب حليفي، هوية العلامات، ص14.

(3) ينظر: عبد الحكيم باقيس، ثمانون عامًا من الرواية في اليمن، ص297.

(4) ينظر: الرشيد بوشعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، دار الأهالي، ط1، دمشق، 1996م، ص55،56.

(5) ينظر: عبدالحكيم باقيس، ثمانون عامًا من الرواية في اليمن، ص297.

(6) ينظر: فاطمة بنت جابر المسهري، عتبات النص في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ع13، مارس 2022م، ص112.

(7) ينظر: عبدالحكيم باقيس، ثمانون عامًا من الرواية في اليمن ، ص301.

(8) ينظر: محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، دار العودة–بيروت، 1986م.

(9) ينظر: محمد عبد الولي، يموتون غرباء، دار العودة–بيروت، 1986.

(10) ينظر: حصة بنت زيد المفرّح، عتبات النص، ص101.

(11)ينظر: بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1998، ص154.

(12)ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج5، مادة غرب، ص17.

(13) ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، منشورات دار المشرق، بيروت، ط36، 1997، ص547.

(14) الزمخشري: اساس البلاغة، الجزء 2، دار الكتب المصرية القاهرة، ص159.

(15) ينظر: وهيبة أحمد صبرة، البنية الروائية في "يموتون غرباء" لمحمد عبدالولي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ع8، ط1، 2002م، ص52.

(16)ينظر: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص951

(17) سورة البقرة، الآية: 54.

(18) ينظر: بطرس البستاني، محيط المحيط، ص154.

(19)ينظر: سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، دار الينابيع، دمشق، 2000م، ص30.

(20) ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مج2، ص179.

(21)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص80.

(22) ينظر: فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ص54.

(23)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص28،29..

(24)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص33،34..

(25)ينظر: يوسف عز الدين، قديم لا يموت جديد لا يعيش، دار الإبداع، الحديث للنشر والتوزيع، ص249.

(26)ينظر: حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند إبريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م، ص38،39.

(27)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص44.

(28)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص34.

(29)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص38–40.

(30)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص30.

(31)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص30–29.

(32)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص44.

(33)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص44.

(34)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص45.

(35)محمد عبدالولي، يموتون غرباء، ص15.

(36)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص80.

(37)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص80.

(38)ينظر: وهب رومية، مشكلة الهجرة في أعمال«محمد عبدالولي» القصصية، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج6، ع2، مارس1986م، ص187.

(39)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص79.

(40)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص65،66.

(41) محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص82.

(42)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص95.

(43)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص65.

(44)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص54.

(45)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص54.

(46)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص55.

(47)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص44.

(48)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص95.

(49)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص95.

(50) ينظر: نبيلة إبراهيم، خصوصية التشكيل المكاني، مجلة فصول، ع[1، 2]،اكتوبر – 1990م، ص49.

(51) ينظر: نبيلة إبراهيم، خصوصية التشكيل المكاني، ص49.

(52)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، 96.

(53)محمد عبدالولي، يموتون غرباء، ص15.

(54)محمد عبدالولي، يموتون غرباء، ص80.

(55)محمد عبد الولي، يموتون غرباء، ص80.

(56)محمد عبد الولي، يموتون غرباء،ص95.

(57) ينظر: أحمد الحملاوي، شذى العرف في فن الصرف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، 2000م، ص56.

(58) محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص49.

(59) محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص49.

(60) محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص48.

(61) محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص51.

(62) محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص56.

(63) محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص94.

(64)ينظر: بسام قطوس، سيميائية العنوان، جامعة اليرموك، إربد، ط1، 2001م، ص21.

(65)ينظر: خالد حسين، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2007م، ص16.

(66) ينظر: طراد الكبيسي، عناوين الكتب بين القديم والحديث بين الجمالية والدلالية، مجلة عمان، ع54، 1999، ص36.

(67) ينظر: محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، ص16.

(68) ينظر: مصطفى سلوي، عتبات النص، ص168.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، دار العودة–بيروت، 1986م.
2. محمد عبد الولي، يموتون غرباء، دار العودة– بيروت، 1986.
3. عبدالحكيم باقيس، ثمانون عامًا من الرواية في اليمن (قراءة في تأريخية تشكل الخطاب الروائي اليمني وتحولاته) دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط1، 2014م.
4. شعيب حليفي، هوية العلامات، في العتبات وبناء التأويل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004م.
5. الرشيد بوشعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، دار الأهالي، ط1، دمشق، 1996م.
6. حصة بنت زيد المفرّج، عتبات النص في نماذج من الرواية في الجزيرة العربية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2017م.
7. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1998.
8. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط4،2005م، مادة عتب، ج14، 15.
9. المنجد في اللغة والأعلام، منشورات دار المشرق، بيروت، ط36، 1997.
10. الزمخشري: اساس البلاغة، دار الكتب المصرية القاهرة، ج2.

11. وهيبة أحمد صبرة، البنية الروائية في "يموتون غرباء" لمحمد عبدالولي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ع8، ط1، 2002م.
12. رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.
13. سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، دار الينابيع، دمشق، 2000م.
14. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج3.
15. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2007م.
16. حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند إيريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995.
17. يوسف عز الدين، قديم لا يموت جديد لا يعيش، دار الإبداع، الحديث للنشر والتوزيع.
18. وهب رومية، مشكلة الهجرة في أعمال «محمد عبدالولي» القصصية، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج6، ع2، مارس1986م.
19. نبيلة إبراهيم، خصوصية التشكيل المكاني، مجلة فصول، ع1، 2، اكتوبر – 1990م.
20. أحمد الحملاوي، شذى العرف في فن الصرف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، 2000م.
21. بسام قطوس، سيميائية العنوان، جامعة اليرموك، إربد، ط1، 2001م.
22. خالد حسين، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2007م.
23. طراد الكبيسي، عناوين الكتب بين القديم والحديث بين الجمالية والدلالية، مجلة عمان، ع54، 1999.
24. محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
25. مصطفى سلوي، عتبات النص، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2003م.
26. عتبات النص في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، فاطمة بنت جابر المسهري ، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ع13، مارس 2022م.